السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤٨)

وَاجِبُنَا نَحْوَ المُصْطَفَى ﷺ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

طَاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ

مِنَ الأُمُورِ الوَاجِبَةِ عَلَيْنَا تُجَاهَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الإِيْمَانُ بِهِ ، ثُمَّ طَاعَتُهُ واتِّبَاعُ سُنَّتِهُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[1] . وقوله : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[2] .

وبالتَّالي فالإِيْمَانُ بِالرَّسُولِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) التغابن : ١٢ .

الإيْمَانِ ، دَلِيْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلٰه إلا اللهُ ، وَيُؤْمِنوا بِيْ وَبِمَا جِئتُ بِهِ ، فَإِذا فَعَلوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّيْ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّها ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ » .

وَيَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ جَمِيْعاً أَنَّ عَدَمَ الإِيْمَانَ بِالرَّسُولِ هُوَ طَرِيْقٌ يُوْصِلُ الإِنْسَانَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[1] .

فَإِذَا آمَنَ الإِنْسَانُ بِالرَّسُولِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُطِيْعَ أَوَامِرَهُ ، وَيَجْتَنبَ نَوَاهِيَهُ ، ذَلِكَ لأَنَّ طَاعَةَ اللهِ مَقْرونَةٌ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ ، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ :

---

(١) سورة الفتح : ١٣

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[1] .

وَقَدْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَى الطَّائِعِيْنَ لَهُ بِجَزِيْلِ الثَّوَابِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2] .

كَمَا أَنَّه سُبْحَانَهُ قَدْ نَقَل لَنَا في كِتَابِهِ العَزِيْزِ صُورَةً مِنْ صُوَرِ التَّعْذِيْبِ في دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ ، حَيْثُ الكَفَرَةُ يَتَمَنَّونَ لَوْ أَنَّهُمْ أَطَاعُوا الله ، وَأَطَاعُوا رَسُولَهُ : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[3] .

---

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) سورة النساء : ٦٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ٦٦ .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيْثُ نَبَوِيَّةٌ تُبَيِّنُ ذَلِكَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ : « مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعثَنِي الله بِهِ كَمَثَلَ رَجُلٍ أتىٰ قَوْماً ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ! إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيْرُ العُرْيَانُ ، فَالنَّجَاءَ .

فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَدْلَجُوا[1] ، فَانْطَلَقُوا عَلى مَهْلِهِم فَنَجَوْا .

وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبحُوا ، فَصَبَّحَهُم الجَيْشُ ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي ، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَاني ، وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ » .

أَجَلْ! فَعَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَّبِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيَمْتَثِل سُنَّتَهُ ، وَيَقْتدي بِهَدْيِهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ

---

(١) أي : ساروا ليلاً .

قَـوْلُ النَّبِـيِّ ﷺ : « فَعَلَيْكُـمْ بِسُنَّتِـي ، وَسُنَّـة الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ المَهْدِيِّيْنَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُم وَمُحْدثَاتِ الأُمُوْرِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ » .

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلهُ صلوات اللهِ وَسَلامُهُ عليه : « القُرآن صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى منْ كَرِهَهُ ، وَهُوَ الحَكَمُ ، فَمَنِ اسْتَمْسَكَ بِحَدِيْثِي وَفَهِمَهُ ، وَحَفِظَهُ ، جَاءَ مَعَ القُرْآنِ .

وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالقُرآنِ وَحَدِيْثِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِـرَةَ ، أُمِـرَتْ أُمَّتِـي أَنْ يَـأخُـذُوا بِقَـوْلِـي ، وَيُطِيعُوا أَمْرِي ، وَيَتَّبِعُوا سُنَّتي ، فَمَنْ رَضِيَ بِقَوْلِي فَقَد رَضِيَ بالقُرآنِ . قَالَ الله تَعَالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟

﴿ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1] .

وَقَدْ ضَرَبَ لَنَا التَّارِيْخُ نَمَاذِجَ عَمَّا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ وَالأَئِمَّة في ذَلِكَ :

فَذَلِكُم الفَاروقُ عُمَرُ ، يَنْظُرُ ذَاتَ يَوْمٍ إلى الحَجرِ الأَسْوَدِ ، وَيُخَاطِبُهُ قائِلاً :

وَاللهِ! إنَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ ، وَلاَ تَضُرُّ ، ولوَلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ . ثُمَّ قَبَّلَهُ.

وَذَلِكُمْ ابنُه عَبْدُ اللهِ رُئِيَ ذَاتَ يَوْمٍ يُدِيْرُ نَاقَتَهُ في مَكَانٍ ، فَسُئِلَ عَنْهُ ، فَقَالَ : لا أَدْرِي ؟ إلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَلهُ ، فَفَعَلْتُهُ.

وَقَدْ بَيَّنَ القُرْآنُ أَنَّ مُخَالَفَةَ أَوَامِرِ الرَّسُولِ ، وَتَبْدِيْلَ سُنَّتِهِ ضَلالٌ ، وَبِدْعَةٌ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ

---

(١) سورة الحشر : ٧ .

سُبْحَانَه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

وَقَوْلُه صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليه : « مَنْ رَغِبَ عَنْ ـ أي : أعرض ـ سُنَّتِي فَلَيْس مِنِّي » .

* * *

(١) سورة النساء : ١١٥ .

« المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »

وَمِنَ الوَاجِبَاتِ عَلَيْنَا يَا أَحِبَّتَنَا البَرَاعِمَ تُجَاهَ رَسُوْلِنَا ﷺ لُزُومُ مَحَبَّتِهِ ، ذَلِكَ لأَنَّ الإِنْسَانَ يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ .

مِصْدَاقُ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً أَتىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : مَتَىٰ السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

قَالَ : « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ » .

قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَثِيْرَ صَلاةٍ ، وَلا صَوْمٍ وَلا صَدقةٍ ، وَلكنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ .

قَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » .

وَمِقْيَاسُ مَحَبَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ هُوَ أَنْ يُحِبَّ المُسْلِمُ الرَّسُولَ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لأَقْرِبَائِهِ ، وَمَالِهِ ، وَأَهْلِهِ ، بَلْ وَنَفْسِهِ التي بَيْنَ جَنْبَيْهِ!!!

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١) .

ذَلِكَ لأَنَّ ثَوَابَ مَحَبَّتِهِ ﷺ لا يَعْدِلُهُ ثَوَابٌ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ ما رُوِيَ : أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رسُولَ اللهِ ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالي ، وَإِنِّي لأَذْكُرُكَ فَما أَصْبِرُ حَتَّىٰ أَجيء ، فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ ، وَإِنَّي ذَكَرْتُ موْتِيَ وَمَوْتكَ ، فَعَرَفْتُ

---

(١) سورة التوبة : ٢٤ .

أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ دَخَلْتُها لا أَرَاكَ .

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَوْلَهُ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] .

وَمِنَ الأَمْثلَةِ الرَّائِعَةِ عَلَى مَحَبَّةِ السَّلَفِ لِلنَّبِيِّ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ :

أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوْهَا ، وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : مَافَعَلَ رَسُوْلُ اللهِ ؟

قَالُوا : خَيْراً ، هُوَ بِحمْدِ اللهِ كَمَا تُحِبِّينَ .

قَالت : أَرُونِيْهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ

---

(١) سورة النساء : ٦٩ .

قَالَتْ : كُلُّ مُصِيْبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ[1] .

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ أَيْضاً : أَنَّهُ لَمَّا احتُضِرَ[2] بلاَلٌ رَضِيَ الله عَنْهُ ، نَادَتِ امْرَأَتُهُ : وَاحُزْنَاهُ! فَقَالَ : لا تَقُولِي ذَلِكَ ، بَلْ قُوْلِي : وَاطَرَبَاهُ! غَداً أَلْقَى الأَحِبَّةَ ، مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ .

وَمِنْهَا : لَمَّا أَخرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَّةِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : أَنْشُدكَ اللهَ يَا زَيْدُ! أتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ تُضْرَبُ عُنُقُهُ ،وَأَنَّكَ في أَهْلِكَ ؟

فَقَالَ زَيْدٌ : وَاللهِ! مَاأُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ في مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيْهِ تُصِيْبُهُ شَوْكَةٌ وَأَنِّي جَالِسٌ في أَهْلِي!

---

(١) أي : هيِّنَة ، ويسيرة .

(٢) أي : لما حضره الموت .

« لا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ »

وَمِنَ الأُمُورِ الوَاجِبَةِ عَلَيْنَا يَا أَحِبَّتِنَا البَرَاعِمَ الصَّلاةُ عَلَى نَبِيِّنَا والتَّسْليم عَلَيْهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1] .

حَيْثُ لا تُقْبَل صَلاةٌ إِذَا لَمْ يُصَلِّ فيهَا المُسْلِمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : « مَنْ صلَّى صلاةً لم يُصَلِّ فيها عَلَيَّ ، وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ » .

وَبالتَّالِي ، فَثَوَابُها كَبِيرٌ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ : « مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً ،

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْر صَلَوَاتٍ ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيْئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ » .

لَكِنْ بِالمُقَابِلِ : « مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ أُخْطِىءَ بِهِ طَرِيْقُ الجَنَّة » .

نَسْأَلُ الله تَعَالىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا بِقِرَاءَةِ سِيْرَةَ المُصْطَفىٰ ﷺ ، لِتَكُوْن لَنَا قُدْوَةً وَأُسْوةً ، فَنَعيش في الدُّنْيَا علىٰ مَحَبَّتِهِ ، وَنَمُوت عَلَىٰ سُنَّتِهِ ، ونُحْشَر تَحْتَ لِوَاءِ شَفَاعَتِهِ ﷺ .

* * *

وَصَلاَةُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الزَّهْرَاء !

وفي الخِتَامِ لا نَمْلِكُ إلا أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الصَّلاةِ ، وَالسَّلامِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ!

يَا صَاحِبَ السِّيرَةَ العَطِرَةِ!

يَا حَامِلَ لوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ!

يَا صَاحِبَ المَقَامِ المَحْمُود!

يَا صَاحِبَ الشَّفَاعَةِ!

يَا صَاحِبَ الكَوْثَرِ!

يَا مَنْ بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالمِيْنَ!

سائلينَ اللهَ تَعالى أَنْ يَجْعَلَنَا نَقْتَدِي بِهَدْيِكَ ، وَنَهْتَدِي بِسُنَّتِكَ ، وَأَنْ يُحْيِنا عَلَى مَحَبَّتِكَ ، وَيُمِيتَنَا عَلَى سُنَّتِكَ ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا في زُمْرَتِكَ ، وَأَنْ يَكْتُبَ حَسَنَاتِ هَذَا العَمَلِ المُتَوَاضِعِ في صَحَائِفِنَا ، عَسَىٰ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَنَا ذُنُوبَنَا ، آمين!

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *